

# الرقيب ناقد أدبي لا يقرأ الكتب

## الرقابة في العالم العربي مهنة الجميع ضد الفرد



Alireza Darvish

الرقيب سلطة قمع (لوحة للفنان علي رضا درويش)

ولا نستغرب حينئذ أن تكون نصوص تلك الفترة والفنرة التي تلتها مسالمة، تسابير الخط التحريري للصحف والمجلات، وتجنب تقديم ما تعلم سلفاً أن الناشر يرفضه، فقد كانت تلك الآثار في وعي أصحابها الباطن مسكونة بناقد كبير اسمه الرقيب.

قصيدة للمرحوم محمد البقلوطي، لأنها احتوت على البيت التالي "عسس هنا، عسس هناك، يتناوبون على القصيد"، ثم نشرها الشاعر في ديوانه "آخر زهرة تلج" ولم يعترض عليها الرقيب الرسمي، وربما لم يستوقفه الديوان أصلاً.

ومن ثم تجدهم يبنون عن الرقابة الرسمية في تصيد ما يقال وما لا يقال، وقد أثبتت التجربة عندنا في تونس أنهم كانوا أشد صرامة من رقابة الحاكم، ويحضرني في هذا المقام رفض رئيس القسم الثقافي لجريدة الصباح، في أواخر العهد البورقيبي، نشر

هذا الكتاب أو ذاك "ازدري الأديان" أو "أساء إلى الأخلاق الحميدة" كي يهب هبة رجل واحد، لا ليصادر الكتاب، بل ليحرق كل نسخه، ويطارد كاتبه مطاردة قد تنتهي بالنفي أو القتل. ولكن الرقابة الأكثر شيوعاً هي الرسمية، تلك التي تشرف عليها وزارات الداخلية، أهم نراع من أذرع الأنظمة الحاكمة.

وعندما نقول إن وزارات الداخلية هي التي تُعهد إليها متابعة المنشورات، فلا يعني ذلك أن لها من موظفيها من يملك حساً أدبياً أو نقدياً، بل كانت، وربما مازالت، تنتدب من الوسط الأدبي من يقبل أن يكون عينها على الكتب "المشبوّهة"، وهم عادة صحافيون وكُتاب وجامعيون يفرزون "الصالح من الطالح" من وجهة نظر النظام طبعاً، ويصدرون على إثر الفرز تقاريرهم. بعض الأنظمة لا تعترض على طبع المنشورات، بل تتدخل لاحقاً لمصادرتها، على غرار تونس، وبعضها الآخر يشترط قبل الطبع موافقة مسبقة، كما هو الشأن في سوريا.

وكنتم أحسب أن من يستعين بهم النظام هم من خالسي الذكر وضامري الحضور حتى اكتشفت أن "الكبار" أيضاً لا يستحون من مصادرة مؤلفات زملائهم. حدث ذلك يوم نشر الأديب السوري نبيل سليمان مقالة في جريدة "الحياة" عن روايتي "الرجل العاري"، إثر صورها وتوجيهها في تونس عام 2009، وكنتم قد اقترحناها من قبل على دار الحوار، قال فيها "وكان العبادي قد أرسل إليّ مخطوطة الرواية لأعمل على نشرها في سوريا، وجرى تسجيلها تحت الرقم 477 بتاريخ 23 مايو 2001، للحصول على الموافقة المسبقة لطبع الرواية، لكن القرار بعدم الموافقة صدر في 4 مارس 2002 مهوراً بتوقيع رئيس اتحاد الكتاب العرب في دمشق آنذاك: علي عقلة عرسان".

وسواء تمّ الفرز بعد النشر أو قبله، فإن تلك الفئسة لا تقيم العمل من جهة شكله أو بنيته الفنية أو أسلوبه أو لغة مُنشئه، بل همها المضمون ومرجعته الأيديولوجية أو لا وأخراً. حسبها أن تتعقب ما لا يروق الحاكم مقابل أجر أو مكرفة.

والخطر لا يكمن في الرقابة الرسمية وحدها، لأنها قد تصادر الكتاب وتحتفظ عن ملاحقة كاتبه جزائياً، فغايتها بالأساس منع ترويج ما يحتويه، وإنما في ما يرتب عن ذلك من إشاعات مؤذية تصيب كل المشرفين على المطبوعات، ناشرين وأصحاب مؤسسات إعلامية وثقافية، فهي تجبرهم على التوجس من كل ما قد يسبب لهم خسائر مادية، وحتى قطع أرزاق.

حتى وقت قريب، كان الرقيب هو الناقد الأول في الوطن العربي، دون أن يحتاج إلى جهاز نظري. حسبته أن يحرق تقريره حتى يصادر هذا الكتاب أو ذاك، امتثالاً لما يمليه عليه النظام السياسي، الذي يقف من التابوهات الثقافية موقفاً قد يخلو ويحتد، وقد يلين ويرتخي بحسب الأهواء والظروف. أما في بلاد الغرب، فكان الدور موكولاً لرجال الدين، حتى بعد تراجع نفوذ الكنيسة.

مجمع الفهرس. وكانت تلك الممارسة سارية منذ أواسط القرن السادس عشر، ولئن الغيت عام 1966، فإن الأرشيف ظل طي الكتمان، حتى صدور قرار البابا المذكور الذي جاء في إطار تكفير الكنيسة عن ذنوبها، خصوصاً بعد أن تأكد من عدم جدوى تلك الممارسة.

هذا الأرشيف شكل مادة لكتاب "الرقيب ناقد أدبياً - أحكام الفهرس، من الرومانسية إلى الطبعية" للباحث الفرنسي جان باتيست أماديو، المتخصص في آداب القرن التاسع عشر، بين فيه طرق اشتغال الرقابة في الفاتيكان ودوافعها، وخضوع مداولتها لمراسل ثلاث هي التبليغ والمعانة والحكم، مثلما أوضح كيف كان الذين يتولون الرقابة في طورها الأول يحللون الأعمال الأدبية على طريقة نقاد الأدب، ولكن بطريقة تعكس خوفهم من تأثير بعض الأعمال في ذكاء الجمهور البسيط وحساسيته وسلوكه. أي أنه نقد خاضع لمؤسسة دينية يرفعها الرقيب إلى مجمع الفهرس لاتخاذ قرار بالمنع أو التفاوض، ويبقى القرار النهائي من مشمولات البابا، ليُدْرجه ضمن المحظورات أو يغيض عنه طرفه.

والطريف أن الرقيب لا يبصر مصادره لهذا الكتاب أو ذاك إلا نادراً، بيد أنه يوصي في الغالب بعدم ملاحقة محتواها الأخلاقية ودينيها، لأن رداؤها تلك تجعلها عديمة التأثير، بينما قد يساهم منعها في رواجها وجلب الانتظار إلى صاحبها.

ودواعي الكنيسة إلى مصادرة الكتب هي دواع دغمائية وأخلاقية بالدرجة الأولى تندرج في إطار "التدين الرومانسي" والتطورات السياسية في ذلك العصر، ولكنها أدبية وجمالية أيضاً، فالرقيب كان يهتم بعملية التلقي لدى القارئ ويفعل القراءة نفسه، فيغري الأثر غريبة دقيقة لكي يجيزه أو يمنعه.

### الرقيب العربي

أما في العالم العربي، فالرقابة شاملة يمارسها المجتمع بأسره، حتى من لا يقرأ، حسبته أن يسمع أن

أبو بكر العبادي  
كاتب تونسي

لأن كان الرقيب عندنا تابعاً لوزارة الداخلية، يفلي المطبوعات فيمنع أكثر مما يجيز، فإنه كان في بلاد الغرب يتحرك من داخل الكنيسة، بصطفي هو أيضاً ما يجوز وما لا يجوز، دون أن يملك حق المنع، بعد سيادة القوانين المدنية في سائر البلدان الغربية.

دواعي الكنيسة إلى مصادرة الكتب هي دواع دغمائية وأخلاقية بالدرجة الأولى تندرج في إطار «التدين الرومانسي»

ولا يجمع بين المدني والديني في هذه المهمة سوى وضع قائمة في ما لا يسمح تداوله بين الناس، خوفاً عليهم من الانحراف أخلاقياً وسياسياً، وصوناً لهم مما ينافي الأعراف والتقاليد والخلق الحميد. ولكن إذا كان دور رجب الكنيسة استثنائياً فحسب، فإن دور رقبينا العربي ناقد، ومن النادر أن يحذر من كتاب ثم يبيحه الحاكم.

### المنع عند الكنيسة

لقد كانت الكنيسة الرومانية، حتى أواسط الستينات، تمنع على المؤمنين الإتياء قراءة أعلام الأدب الفرنسي في القرن التاسع عشر، فأعمال لامارتين، وفكتور هوغو، وبلزاك، وجورج ساند، والكسندر دوما الأب والابن، وأوجين سو، وفلوبير، وستندال، وجورج فيديو، وجول شافلوري، وزولا كانت ممنوعة منعاً باتاً في شرع أعلى سلطة دينية مسيحية في الغرب.

وكانت قد أعدت ذلك فهرساً للكتب المحظورة منذ عام 1559 تنحصر مهمة المشرفين عليه في الإشارة إلى الكتب المصادرة دون ذكر أسباب منعها، وظل ذلك سراً مكتوناً لم يُكتشف عنه إلا عام 1998 بقرار من البابا يوحنا بولس الثاني، عندما فتح للباحثين أرشيف

## نقاد سوريون يناقشون قصص «متاهة العشق»

غاب الحوار عن معظم القصص مع التركيز على بطل القصة الذي يتحدث عن نفسه، موضحاً أن القصص تميل إلى الواقعية الجديدة التي تتحدث عن الواقع وليس عن الحقيقة كما مزج بين الفردية والجماعية مامهايا بين الذاتية والوطنية.

ونوه الناقد أحمد هلال في مداخلة إلى أن العوض قارب في متاهة العشق شكلاً فنياً ليس جديداً وإنما سعى للتنوع عليه عبر إضافة متنون وخطاب مقدمات، لدرجة أن القارئ يشعر أن النصوص تحمل كل عناصر القصة مجرد قرأته أيا منها وهذا ما منح القصص ثراءً دلالياً.

أما مؤلف المجموعة عوض فاعتبر أن الرؤية النقدية التي قدمها الباحثون كانت إغناءً للمجموعة سواء كانت سلبية أو إيجابية لأن النص الذي لا يتناوله النقد ليس جديراً بالقرأة. وقد أدار الذروة الروائي القاص أيمن الحسن، وشارك عدد من الأدباء الحضور بمداخلاتهم منهم هيلانة عطالله وضياء الحبش وأحمد علي محمد وخليفة عموري وصبحي سعيد.

دمشق - بناء القصة وطبيعة السرد في المجموعة القصصية «متاهة العشق» للقاص والروائي السوري عوض سعود العوض كانا محور الندوة النقدية التي أقامها فرع دمشق لاتحاد الكتاب العرب بمشاركة مجموعة من النقاد.

بدأية وصف الدكتور عبد الكريم حسين عنوان المجموعة بالمستعار المسبوق إليه، وكأنه قالب جاهز وضع على العمل، ثم عرض ملاحظاته عن الكتاب من ضعف التوسع في جمهور قصص المجموعة وتركيز الكاتب على شخصية أو اثنتين وإغفال الجهات الخارجية التي كانت وراء الإلهام لجهة تمويلهم وتوجيههم، مشيراً في الوقت نفسه إلى نجاح العوض في إقامة تداخل بين الأنواع الأدبية من فلسفة وحالة شعرية، وأن هذا مذهب عاد إليه الغرب بعد أن تركه لفترة.

أما الناقد الدكتور عبدالله الشاهر فتحدث أن المجموعة ضمت 26 قصة أبطالها فشلتوا في عشقهم، مبيناً أن البناء الفني للقصص فيه توصيفية لا حاجة لها، لكنه أيضاً يحفل بسريرية عالية. وشدد الشاعر على أن القاص اعتمد على شخصية الراوي فيما

محلها ودولياً في معارض ومهرجانات وبيناليات ومناحف حول العالم مثل: البيئالي الأول للكتاب بالمتحف القومي برومانيا (2018)، بيروت آرت فير (2018)، سيمبوزيوم الأقرص الدولي في دورته العاشرة مصر (2017)، بينالي بكين الدولي الخامس للفنون المعاصرة عام 2012 (الصين).

ونام المصري فنانة تميل دوماً إلى تناول قضايا ومفاهيم من الواقع تشبكت خلالها مع سياقات اجتماعية معاصرة

كما شاركت الفنانة في العديد من المعارض الفردية والجماعية بمصر والخارج وحصلت على أكثر من 25 جائزة ومنحة دراسية من مؤسسات مختلفة بمصر والخارج. أعمالها ضمن المقتنيات الخاصة لدى العديد من المؤسسات مثل: مكتبة الإسكندرية، متحف الفن المصري الحديث، المتحف الوطني القومي ببوخارست، ومقتنيات خاصة لدى أفراد بمصر وألمانيا والولايات المتحدة وإسبانيا والإمارات.

## «أجساد غير مَرُوضَة» معرض جديد لوئام المصري

وكشفت كلمات الفنانة وئام المصري عن مضمون المعرض بتقديم قريب من الشعر بين ما اختلج في دواخلها لتقدم لوحاتها، حيث قالت "أتوق إلى الحرية والخاص، مشاعر كالعاصفة تعتريني، تعصف بي. مدينتي تنهار وتبني في لحظات. شغايا من هنا وهناك. الخلاص هنا ولكنها تضيق بي كلما اتسعت. تفحلت وطلعت حتى فرضت سطوتها على عالمي. تمرقت أجسادهم وتناثرت لانطقياً. لا وجود للقوة بل تضاعلت لدرجة التلاشي. من يسن القيم والثالية. لماذا نسعى للكمال ولا وجود له؟ لماذا لا نتقبلنا كما نحن، ولا يتقبلنا العالم على ما نحن عليه؟"

وأكد الفنان محمد طلعت، مدير الغاليري، على أهمية المعرض المرتقب لما تمثله وئام المصري من شخصية فنية متفردة تميل دوماً إلى تناول قضايا ومفاهيم من الواقع تشبكت خلالها مع سياقات اجتماعية معاصرة، وتميز تجربتها الفنية بالجرأة والموهبة عند تحويل أفكارها ومشاعرها إلى مشاهد تصويرية قادرة على استنارة المتلقي للتفاعل معها رويداً رويداً حتى يصير جزءاً منها.

وئام المصري تدرس بكلية الفن والتصميم بجامعة أكتوبر للعلوم الحديثة والآداب، وقد عُرضت أعمالها

أبوابه للجمهور والفنانين اعتباراً من الأحد 6 سبتمبر 2020 في تمام الساعة السابعة مساءً ويستمر حتى 24 من نفس الشهر.



استعادة الأجساد الممزقة